بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي...»

اللقاء الخامس

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».**

هذا دعاء عظيم من الدعوات الجامعة، ومن كوامل الدُّعاء وجوامعه، جمع فيه عليه الصلاة والسلام خير الدنيا والآخرة ، وصلاح الدين والدنيا والآخرة، والازدياد من الخيرات، والاستكثار من الصالحات، وأن يكون موتُ الإنسان انتهاءً للشر وقدومًا على الخير والسعادة .

قال الشوكاني رحمه الله: «هذا الحديث من جوامع الكلم لشموله لصلاح الدين والدنيا، ووصَف إصلاح الدين بأنه عصمة أمره لأن صلاح الدين هو رأس مال العبد وغاية ما يطلبه، ووصَف إصلاح الدنيا بأنها مكان معاشه الذي لابد منه في حياته، وسأله إصلاح آخرته التي هي المرجع وحولها يدندن العباد، وقد استلزمها سؤال إصلاح الدين لأنه إذا أصلح الله دين الرجل فقد أصلح له آخرته التي هي دار معاده، وسأله أن يجعل الحياة زيادة له في كل خير لأن من زاده الله خيرا في حياته كانت حياته صلاحًا وفلاحا، وسأله أن يجعل له الموت راحةً له من كل شر لأنه إذا كان الموت دافعًا للشرور قاطعا لها ففيه الخير الكثير للعبد، ولكنه ينبغي أن يقول: (اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كان

الموت خير لي) كما علّمنا رسول الله -ﷺ- ، فإنه يشمل كل أمر، ومعلوم أن من لم يكن في حياته إلا الوقوع في الشرور فالموت خيرٌ له من الحياة وراحة له من محنها».

قوله: «اللهم أصلح لي ديني» دعاء بإصلاح الدين، أي: بأن توفقني للقيام بواجباته وآدابه ومقتضياته على الوجه الأكمل والأتم، وذلك بأن يوفق الله العبد للتمسك بالكتاب والسنّة وفق هدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الصالحين في أمور الاعتقاد والعبادات والدعوة إلى الله تبارك وتعالى والأخلاق والآداب والسلوك، وبدأ بصلاح الدين لأنه الأساس الذي يُبنى عليه ما بعده، ولأنه أعظم المقاصد، وأهم المطالب؛ فمن فسد دينه فقد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وإصلاح الدين يقوم على ركنين عظيمين:

1 – الإخلاص لله وحده في كل عبادة.

2 – والمتابعة للرسول -ﷺ- بأن يكون (خالصاً صواباً).

☜فإن التمسك بهذين الأصلين عصمة للعبد من الشرور كلها، أسبابها، ونتائجها ونهاياتها، ومن مضلات الفتن، والمحن، والضلالات التي تضيع الدين والدنيا.

فنسأل الله أن يصلح لنا ديننا الذي يحفظ لنا جميع أمورنا.

وقوله: «الذي هو عصمة أمري» أي: ما أعتصم به في جميع أموري، كما قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا}[آل عمران: 103] ، وفيه أن التمسك بالدين على المنهج الصحيح عصمة للعبد من مضلاّت الفتن ومن الوقوع في الانحرافات الاعتقادية والعملية، وأن إضاعة الدين به انفراط الأمر وضياعه، كما قال الله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28] .

وقوله: «وأصلح لي دنياي» دعاء بإصلاح الدنيا، أي: بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه، وبأن يكون حلالاً ومعيناً على طاعة الله تعالى.

وقوله: «التي فيها معاشي» أي: فيها مكان عيشي وزمان حياتي، وفي هذا أن للإنسان في هذه الحياة معاشاً محدوداً ورزقاً مقدّراً لن يموت المرء حتى يستتمه.

قال-ﷺ-: "لا تَموتُ نفسٌ حتى تسْتكمِلَ رِزْقَهَا وإنْ أبطأَ عليهَا فاتَّقُوا اللهَ ؛ وأجْمِلُوا في الطَّلَبِ ، ولا يَحْمِلَنَّكم اسْتِبْطاءُ الرِّزقِ أن تَأخذُوهُ بِمعصيةِ اللهِ ، فإنَّ اللهَ لا يُنالُ ما عِندَه إلا بِطاعتِه". صحيح الجامع

✍أي أصلح لي عيشي في هذه الدار الفانية القصيرة، بأن أُعْطَى الكفاف والصلاح، فيما أحتاج إليه، وأن يكون حلالاً مُعيناً على طاعتك، وعبادتك على الوجه الذي ترضاه عني، وأسألك صلاح الأهل، من الزوجة الصالحة، والذرية والمسكن الهنيء، والحياة الآمنة الطيبة، والقناعة ، وراحة البال، والرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال.

وقوله: «وأصلح لي آخرتي» دعاء بإصلاح الآخرة، وإصلاحها باللطف من الله سبحانه والتوفيق منه للإخلاص في الطاعة وحسن الخاتمة والفوز بالنعيم المقيم في الجنّة.

وقوله: «التي فيها معادي» أي: فيها مكان رجوعي وزمن إعادتي إلى الله عزّ وجل {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}[النجم: 31] .

✍أي وفّقني للعمل الصالح الذي يرضيك عني، وملازمة طاعتك، والتوفيق إلى حسن الخاتمة حتى رجوعي إليك يوم القيامة، فأفوز بالجنان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[سورة:104]، لم يقل تعالى ممدود، بل قال: ﴿مَعْدُودٍ﴾ أي يُعدّ عدّاً إلى هذا اليوم العظيم، فينبغي لنا أن نعدّ العُدّة إلى هذا اليوم.

وقوله: « واجعل الحياة زيادة لي في كل خير » أي: اجعل طول عمري فرصة وسبباً لي في إتيان الخير من القول والعمل. وفيه: أن طول عمر العبد المسلم مدعاةٌ للزيادة من أعمال البر والخير.

✍أي: اجعل يا الله الحياة سبباً في زيادة كل خير يرضيك عني من العبادة والطاعة.

🡸ويُفهم من ذلك أن طول عمر المسلم فرصة لزيادة في الأعمال الصالحة الرافعة للدرجات العالية في الدار الآخرة، كما سُئل النبي -ρ- مَن خير الناس؟ فقال: (مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ).

وقوله: «**واجعل الموت راحة لي من كل شر**» أي: واجعل موتي وخروجي من هذه الحياة الدنيا راحة لي من الفتن، والمحن، والابتلاء بالمعصية ، والغفلة. وفيه أن الدنيا للصالحين دار نصَب وتعب، وأن الراحة لا تكون إلا بالموت على الصلاح والدين، وأن المؤمن يستريح غاية الراحة ويسْلم كامل السلامة بلقاء ربه Y، حين يظفر بثوابه العظيم ونعيمه المقيم، وقد سُئل الإمام أحمد رحمه الله: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: «عند أول قدم يضعها في الجنة». نسأل الله الكريم من فضله.

✍ويُفهم من ذلك أن المؤمن يستريح غاية الراحة، ويسلم السلامة الكاملة عند خروجه من هذه الدار، كما جاء في الصحيحين: أن رسول اللَّهِ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المسْتَرِيحُ وَالمسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ) [رواه البخاري].

🡸وقد اشتمل هذا الحديث العظيم والدعوة الجامعة على فوائد عظيمة جليلة القدر، مما يؤكد أن هذه الدعوة المباركة ينبغي على كل مسلم أن يحفظها وأن يُحافظ عليها.

✍**فمن فوائد هذه الدعوة**: أن العبد مُفتقرٌ إلى الله تبارك وتعالى في كل شئونه، مفتقرٌ إليه Y في صلاح دينه، وصلاح دنياه، وصلاح أُخراه. ومحتاجٌ إلى الله تبارك وتعالى من كل وجه، ولا يمكن أن يصلح له دينٌ أو دنيا أو آخرة إلَّا إذا أصلحه الله له، فهو فقيرٌ إلى الله غاية الفقر، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[فاطر:15] وهذه الدعوة تهدي العبد إلى شدة افتقاره إلى الله I في أموره الدينية والدنيوية والأخروية، فلا يصلح منها شيء إلا إذا أصلحه الله.

✍**ومن فوائد هذه الدعوة المُباركة**: أن الدين مُقدَّمٌ على غيره، والاهتمام به مُقدَّم على الاهتمام بأي أمرٍ آخر، ولهذا قدمه عليه الصلاة والسلام وبدأ به، قال: (اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي)؛ فهذا فيه فائدة أن العبد يهتم بصلاح دينه اهتمامًا مقدمًا على صلاح دُنياه، وتكون عنايته بصلاح الدين ألزم عليه، بينما واقع كثير من الناس في هذا الباب اهتمامه في حياته بإصلاح دنياه، ودينه له الفضلة من الوقت والزائد منه، أما جُلُّ وقته فمنصرفٌ إلى إصلاح دنياه، فإن بقي في وقته فضلٌ شغله بإصلاح دينه. ثم أيضًا

تجده في إصلاح دنياه يعتني بالأمر من كل جانب ومن كل حيثية، فإذا أراد مثلا أن يبني بيتًا تجده لا يستعجل، بل يتروى ويسأل أهل الخبرة والصنعة ويكثر من التحري والسؤال حتى يطمئن لسلامة العمل ودقته، بينما إذا أراد أن يؤدي شيئًا من أمور الدين ومبانيه العظيمة أداه كيفما اتفق، ، فإذا أراد مثلا أن يقوم بشيءٍ من مباني الإسلام كأن يحج أو أن يصوم يأتي بها كيفما اتفق بدون تحرٍ أو سؤال؛ فهذا من ضعف الاهتمام بالدين وقوة الاهتمام بأمر الدنيا. فالحديث يرشدنا إلى أن الاهتمام بالدين مُقدَّم، ولهذا بدأ به النبي عليه الصلاة والسلام .

✍**ومن فوائد هذا الحديث العظيم**: أن صلاح الدين عصمة الأمر، ولهذا قال: (اَللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي اَلَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي)؛ فعصمة الأمر أي سداده وسلامته والوقاية من الشرور والآفات كل ذلك لا يستقيم إلا بصلاح الدين، فبصلاح الدين عصمة الأمر، وبضياع الدين انفراط الأمر، كما قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[الكهف:28]؛ فبدون الدين ينفرط الأمر، وبالدين يكون للإنسان العصمة في أمره؛ فعصمة أمر الإنسان وهو قراره، وطمأنينته، وسكونه، واجتماع شمله، وسكون قلبه، إلى غير ذلك، كل ذلك إنما يكون بصلاح الدين.

✍**ومن فوائد الحديث**: أن الإنسان لا ضير عليه أن يهتم بدنياه، وأن يكون عنده اهتمامٌ بدنياه وإصلاحها، لا ضير في ذلك، ولهذا قال: (وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ اَلَّتِي فِيهَا مَعَاشِي)؛ فلا ضير على العبد أن يهتم بإصلاح دُنياه، لكن المصيبة عندما يكون إصلاح الدنيا مقدمًّا على إصلاح الدين، والاهتمام بالدنيا أكبر من الاهتمام بالدين، وتأمل هذا المعنى في الدعوة الأخرى التي كان يدعو بها عليه الصلاة والسلام قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعلِ الدُّنْيَا أكبرَ همِّي»؛ فقوله (أَكْبَرَ همِّي) فيه دليلٌ على جواز الاهتمام بالدنيا، وإنما الإشكال يأتي إذا كانت الدنيا أكبر همّ المرء، بحيث تطغى الدنيا على الدين.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي

سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:24]؛ فالإشكال هنا إذا كانت ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أما كون المرء يحب ماله وتجارته وعشيرته ونحو ذلك من المحاب فلا شيء في ذلك، لكن إذا كانت هذه المحبة لها مقدمة عنده على محبة الله والدين، أو كان الاهتمام بها مقدمًا على الاهتمام بالدين؛ فهذا موطن الإشكال؛ فلك أن تهتم بدُنياك، وأن تسعى في إصلاحها، وتسعى في إطابتها بالوسائل المشروعة، كل ذلك لا بأس به، ولا ضير عليك فيه، ما لم يبلغ الأمر أن تكون الدنيا هي المقدمة أو أن يكون الاهتمام بها هو المقدم.

✍ومن فوائد هذا الحديث في قوله (فِيهَا مَعَاشِي): أن للمرء في هذه الدنيا معاشًا محدودًا وأمدًا معدودًا، له معاش لن يخرج من هذه الدنيا إلا إذا استتمه، فلا تموت نفس حتى تستتم رزقها؛ فلو بقي للمرء من الحياة شربة ماء لن يموت حتى يشربها، وقد جاء في حديث ابن مسعود المعروف بحديث الصادق المصدوق قال فيه عليه الصلاة والسلام: ((ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ))، فالإنسان له في هذه الحياة معاشٌ مكتوب، ولن يموت حتى يستوفي ما كُتب له من الرزق. والقصص في مثل هذا عجب يراها الناس، تجد إنسانا ينجو من الموت بتوفيق الله -Y- نجاةً ما يظنها الناس أن تكون ؛ لأنه لا يزال له عيش قد كتبه الله تبارك وتعالى له، وآخر على فراشه ليس به علَّة وليس به مرض لكنه استوفى معاشه ورزقه فيموت على فراشه ، صغيرا ليس به كبر، صحيحا ليس به مرض.

✍ومن فوائد الحديث: أن خير الناس من طال عمره وحسن عمله وكان له في زيادة الأيام كثرة الحسنات وزيادة الأجور، وخطورة الأمر إذا كان الإنسان على الضد من ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: «فمن لم يورثه التعميرُ وطولُ البقاء اصلاحَ معائبه وتدارك فارطه واغتنام بقيّة أنفاسه؛ فيعمل على حياة قلبه وحصول النعيم المقيم، وإلا فلا خير له في حياته. فإن العبد على جناح سفر إما الى الجنة واما الى النار، فإذا طال عمره وحسن عمله كان طول سفره زيادةً له في حصول النعيم واللذة، فإنه كلما طال السفر إليها كانت الصبابة أجلّ وأفضل، واذا طال عمره وساء عمله كان طول

سفره زيادةً في ألمه وعذابه ونزولا له إلى أسفل، فالمسافر اما صاعد وإما نازل، وفي الحديث المرفوع: (خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشرّكم من طال عمره وقبح عمله) رواه الترمذي في السنن».

الحاصل أن هذا الدعاء مشتمل على خيراتٍ عظيمة ومغانم جليلة، فلا ينبغي أن يفوِّتها المسلم ، وعليه أن يكثر من الدعاء به.

قال القرطبي رحمه الله: «هذا دعاء عظيم جمع خيري الدارين الدنيا والدين، فحقٌ على كل سامع له أن يحفظه ويدعو به آناء الليل وأطراف النهار، ولعل الإنسان يوافق ساعة إجابة يحصل على خيري الدارين» .

وأسأل الله Y أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.